إشكالية الوحدة والتنوع في المجتمع الإسلامي على ضوء فكر الإمام الخميني (قده)

الدكتور علي لاغا

باحث وأستاذ محاضر في جامعة الجنان في طرابلس

مقدمة

قال الله تعالى: ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة لنغرينَّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتّلوا تقتيلاً* سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً**﴾ (سورة الأحزاب، الآيات ٦٠ ـ ٦٢).

إن الله تعالى خلق الكون بموجب سنن لا تتغير، لا تتبدل ولا تتحول ﴿**فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً**﴾ (سورة فاطر، الآية ٣).

إنها الناموس الدائم والقانون الماضي في مسيرة حياة البشر ﴿**... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنّ الله ذو فضل على العالمين**﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥١)، إذا كانت هذه الآية تصدرت بخبر انتصار نبي الله تعالى داود(ع) على جالوت، فإن الآية الثانية تتصدر بخبر إخراج المؤمنين برسالة محمد من ديارهم: ﴿**أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربُنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهُمْ ببعض لهُدِّمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ اللهِ كثيراً ولينصُرَنَّ الله من ينصرُهُ إنّ الله لقويٌّ عزيزٌ**﴾ (سورة الحج، الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠)[١].

ومن بعض هذه السنن والقوانين ﴿**إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما**

(١) الصوامع: صوامع الرهبان، والبيع: كنائس النصارى، والصلوات: هي كنائس اليهود، والمساجد: هي مساجد المسلمين.

بأنفسهم﴾ (سورة الرعد، الآية ١١).

يقول الشهيد مطهري رحمه الله تعالى: «هذه الآية تبين السبب في تقدم الأمم وتأخرها. فلا يمكن أن تجتاز أمة مرحلة الإنحطاط لتدخل مرحلة الحضارة ما لم تبعد عن نفسها عوامل الإنحطاط، وكذلك، فأي أمة لا تتراجع من المرحلة الحضارية إلى مرحلة التأخر ما لم تقم باكتساب عوامل التأخر»(١).

لكن من السنن أيضاً استمرار الصراع بين الحق والباطل، والصدق والنفاق... وهذا ما أشار إليه القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾ فقال: «... وفي الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه حتى مات (ص)»(٢).

مما تقدم تبدو الحاجة مستمرة، لا بل إن من مقتضيات سنن الله تعالى أن يقوم من يدافع عن الحق، كما أنه سيبقى من ينشر الفساد ويعين الباطل، والمعركة مستمرة، وهذا ما قصه القرآن الكريم من أن إبليس اللعين: ﴿**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين**﴾ (سورة الحجر، الآيتان ٣٩ ـ ٤٠).

والى أحد العاملين بإخلاص إن شاء الله تعالى لنصرة الحق على الباطل، ولإعلاء كلمة الحق، يمضي البحث في سبر أغوار طرحه لمسألة الوحدة والتنوع في المجتمع الإسلامي، الإمام الخميني رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

الوحدة أمر إلهي:

قال تعالى: ﴿**إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٩٢).

وقال سبحانه: ﴿**وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾ (سورة المؤمنون، الآية ٥٢).

هذا هو المطلوب الإلهي في المطلق، وبغيره، يقول جل وعلا: ﴿**وأطيعوا الله**

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٤٨.

(٢) الشهيد، مرتضى المطهري، العدل الالهي، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٤١.

ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكُم واصبروا إنّ الله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، الآية ٤٦).

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا...﴾ والمهمة: **﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾** (سورة آل عمران، الآيتان ١٠٣-١٠٤).

الوحدة صفة ملازمة للإيمان:

قال رسول الله (ص): «مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١].

ومن حديث له (ص): «... كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[٢].

الوحدة قيمة كونية:

«الوحدة قيمة كونية ساحقة تحكم قوانينها كل ميادين الوجود وعلى أساسها يتم التفاعل العظيم بين الكون والحياة والإنسان، ولولاها لاضطربت كل مفردات التكوين»[٣].

الوحدة قيمة إسلامية:

«ومن المعلوم أن الإسلام... جاء وفقاً لما أودع الله في هذا الوجود من سنن وأحكام، ولذلك فمن الطبيعي أن يشغل موضوع الوحدة الإنسانية مساحة كبيرة من اهتماماته، وهذا ما كان، فالآية الكريمة التي تقول: **﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم**

---

(١) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري، الحديث رقم ١٧٧٤.

(٢) المرجع نفسه، الحديث رقم ١٧٧٥.

(٣) معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي. حول الوحدة الإسلامية. أفكار ودراسات. ص٩.

﴿خبير﴾ (سورة الحجرات، آية: ١٣) إنما تشير - وبعمق - إلى هذه الحقيقة الشريفة»[١].

الوحدة في فكر الإمام الخميني رحمه الله تعالى:

في نداء له رحمه الله تعالى يقول: «يا مسلمي العالم الذين تملكون إيماناً بحقيقة الإسلام انهضوا واجتمعوا تحت راية التوحيد وفي ظل تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدي الخونة المستكبرين عن أوطانكم وعن خزائنكم الممتلئة، وأعيدوا مجد الإسلام ودعوا الخلافات والأهواء النفسانية فأنتم تملكون كل شيء»[٢].

ويقول «إذا كان المليار مسلم منسجمين مع بعضهم البعض فمن يستطيع أن يكسرهم»[٣]. ويرى أن أية مصيبة تقع بهم ستكون حتماً نتيجة لتفرقهم «اليوم وكما في الماضي فإن كل سوء الحظ الذي أصاب المسلمين إنما هو من التفرقة وعدم الإجتماع تحت راية الإسلام المفتخرة»[٤]. والوحدة الإسلامية تحقق النصر للأمة: «الإسلام يريد منكم الإتحاد، يريد منكم الإعتصام بحبل الله، لماذا تمسّك كل واحد منكم بفرع أو التفت إلى الشرق أو إلى الغرب؟ لماذا لا تعتصمون بحبل الله معاً؟ تعالوا ودعوا هذه الأعمال واتحدوا مع بعضكم وليصبح الجميع معاً إخوة... واضربوا الخاضعين المخالفين للإسلام، واطمئنوا إلى أنكم إذا اتحدتم مع بعضكم فإنكم سوف تنتصرون ولن تستطيع قوة شرقية أو غربية أن تحكمكم»[٥].

دوائر الوحدة:

١ - وحدة المسلمين في إيران:

كان الإمام الخميني يوجه خطابه إلى الشعب الإيراني حاثاً إياه على الثورة ضد الشاه كي يؤسس حكومة إسلامية: «ليسعوا في سبيل استمرار هذه الثورة التي

---

(١) المرجع نفسه، ص ٩.

(٢) نقلاً عن «الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني» - ترجمة الشيخ كاظم ياسين، مركز الإمام الخميني الثقافي، ط ١، سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص ١٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٧٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٧٦.

(٥) المرجع السابق، ص: ٣٤.

تحقق رضى الله ورضى صاحب الزمان، وليحافظوا على مشعل الهداية هذا منيراً أكثر فأكثر...» ٢٨/ رجب/ ١٣٩٨ هـ، وفي خطاب آخر «سوف تستمر الثورة الإيرانية حتى النصر الذي هو حتماً من نصيب هذا الشعب الشجاع، وعليكم أن توصلوا هذه المسألة إلى الشعب بأسرع ما يمكن» ٢٣/ ٨/ ١٩٧٨ م.

وقال: «إن النضالات الحالية لإيران إنما هي حركة إسلامية كاملة بهدف تغيير كامل النظام الشاهنشاهي واستقرار حكومة الجمهورية الإسلامية» ١٦/ ١١/ ١٩٧٨[١].

٢ ـ الدائرة الإسلامية الكبرى: وحدة المسلمين:

في نداء وجهه الإمام الخميني إلى المسلمين في الحج بدا فيه عالمياً متجاوزاً كل الخطوط والحواجز التاريخية، لقد خاطب الحجاج جميعاً «السلام على جميع المسلمين في العالم، المؤمنين بالنبي الأعظم وخاتم الرسل والأنبياء، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة».

«وسلام على الذين أدركوا ما تنطوي عليه الدعوة الإلهية للوفود على بيت الله من معنى عميق، فقالوا: لبيك».

«اليوم، نحن في رحاب تقارب جميع مسلمي العالم، وتفاهم كل المذاهب الإسلامية، لإنقاذ بلدانهم من براثن القوى الكبرى القذرة»[٢].

دائرة الوحدة الإنسانية:

في معرض افتخاره بالشعب الإيراني المتمسك بالإسلام والقرآن وبمذهبه، يعلن الدعوة الشاملة للوحدة الإنسانية: «هذا القرآن الذي تدعو حقائقه إلى الوحدة بين المسلمين بل وبين عموم بني الإنسان» (من الوصية السياسية الإلهية)[٣].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٠ – ٢١١.

(٢) نداء الإمام الخميني الى المسلمين في موسم الحج، بتاريخ ٢/ ١١/ ١٤٠٠هـ. نقلاً عن: حول الوحدة الإسلامية، أفكار ودراسات، مرجع سابق، ص ١٣ – ١٤.

(٣) نقلاً عن: الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني، م.س.ص: ٣٢٧.

وفي مقدمة وصيته يقول رحمه الله تعالى: «... ومن اللازم أن أذكر بأن وصيتي السياسية الإلهية لا تختص بالشعب الإيراني العظيم الشأن بل هي توصية لجميع الشعوب الإسلامية ومظلومي العالم من أي شعب ودين»(١).

والإسلام يشارك الهم البشري في تحقيق الصلاح ودفع الفساد «إن الإسلام يجيز جميع معطيات التمدن والحضارة، إلا ما أدى منها إلى فساد الأخلاق وذهاب العفة، فالإسلام إنما نهى عن الأمور التي تتعارض مع صلاح الناس، بل إنه يؤكد على ما كان منسجماً مع صلاح الناس منها»(٢).

أعداء الوحدة:

يعيد الإمام الخميني رحمه الله تعالى مسألة الإختلافات التي تنهش في الجسم الإسلامي إلى مخططات المستعمرين بمساعدة المأجورين من بين المسلمين، وذلك من دون التحدث عن انعدام المناعة، لا بل ضعفها في المجتمع الإسلامي، وإن كان قد ألمح إلى وجوب اعتماد الثقافة الإسلامية ومحاربة الثقافة الغربية «...وقفوا على أقدامكم، واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق، وجددوا هويتكم، واعلموا أن المثقفين الذين باعوا أنفسهم للأجنبي أذاقوا شعبهم ووطنهم الأمرّين»(٣).

لكن تبقى مسألة معالجة الضعف وتطبيب الجروح المفتوحة التي منها تندس جراثيم شياطين الإنس والجن، إن هذه الجراحات ما زالت تتسع فجوتها عبر تاريخ مرير من الصراع على السلطة من جهة، ومن جهة أخرى ضعف الجهد العلمي التجريبي وتحول قوة الإنتاج إلى غير المسلمين الذين لم يشعروا بفداحة الخطر الذي يدهمهم، بسبب قوة الزخم والدفع الذي انطلقت به الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم في صدر الإسلام.

لذا، فإن النتيجة الطبيعية لحالات الضعف التي ألمت بالأمة المسلمة، وعلى

---

(١) الإمام الخميني، الوصية الخالدة، مركز الإمام الخميني الثقافي، ص ١٣.

(٢) الكلمات القصار، مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني، دار الوسيلة، ص ٢٤ - ٢٥.

(٣) نداء الإمام الخميني إلى المسلمين في موسم الحج، م.س. ص ١٥ - ١٦.

سبيل المثال لا الحصر، فإن صراع الصفويين في إيران مع الدولة العثمانية الذي أشعل حرباً لأكثر من قرنين أعاد الجيش الإسلامي الذي كان يحاصر فيينا لإخماد الثورات والحروب الداخلية. جاء في كتاب القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني (قده) «ومع ظهور الدولة الصفوية في إيران التي جعلت من المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في البلاد، وقعت الحرب بين تلك الدولة والدولة العثمانية بسبب دسائس أوروبا ـ وخاصة الإنكليز ـ وطالت تلك الحروب أكثر من قرنين، وفي الوقت الذي ابتدأت فيه أوروبا نهضتها العلمية والثقافية بعد معاهدة الصلح مع العثمانيين، كانت دنيا الإسلام تعاني من انشقاق كبير، وضعفت قوة المسلمين بسبب تلك الحروب الطويلة، وبدلاً من التوجه نحو الدفاع عن الحضارة الإسلامية، نشط الحكام المسلمون في الحروب الداخلية ومتابعة الأحقاد المذهبية»[1].

عودة إلى أعداء الوحدة الإسلامية كما جاء في نداء الإمام الخميني في موسم الحج.

١ ـ **النعرات القومية**: يقول الخميني رحمه الله تعالى «بعض الفئات انتهجت هذا (الخط القومي) أيضاً، فجعلت المسلمين مقابل بعضهم، بل وجرتهم إلى المعاداة أيضاً غافلة عن أن موضوع حب الوطن وأهل الوطن وصيانة حدوده وثغوره مما لا يقبل الشك والتردد، وهو غير مسألة إثارة النعرات القومية لمعاداة الشعوب الإسلامية الأخرى، فهذه المسألة عارضها الإسلام والقرآن الكريم والنبي الأعظم».

«النعرات القومية التي تثير العداء بين المسلمين والشقاق بين صفوف المؤمنين تتعارض مع الإسلام وتهدد مصالح المسلمين، وهي من مكائد الأجانب الذين يزعجهم الإسلام وانتشاره».

٢ ـ **الخلافات المذهبية**: يقول رحمه الله تعالى: «هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو إيجاد الخلافات بين أهل السنّة والشيعة، ونشر الأكاذيب

(١) القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني، دار الوسيلة، م.س. ص ٣٢٣ - ٣٢٤.

المثيرة للفتن والعداء بين الإخوة المسلمين»[١].

ويقول رحمه الله تعالى: «لقد ذكرت مراراً: أن لا أهمية للعنصر واللغة والقومية والإقليم في الإسلام فجميع المسلمين ـ سنّة كانوا أم شيعة ـ هم قوة متكافئون، متساوون في المزايا والحقوق الإسلامية» وأنه «ليس في الإسلام سني وشيعي، أو كردي وفارسي، فالكل إخوة»[٢].

التنوع وإشكاليته في المجتمع الإسلامي:

إن الوحدة التي نادى بها الإمام الخميني كإحدى ركائز المجتمع الإسلامي لا تعني أوحدية المذهب والفكر والرأي، بل هي وحدة شاملة مع حفظ حرية الرأي والفكر وإبقاء الخصوصية لكل تنوعات المجتمع الإسلامي، يقول المرحوم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في وصف وحدة المسلمين: «الإتحاد أن يتبادل المسلمون المنافع ويشتركوا في الفوائد، ويأخذوا بموازين القسط، وقوانين العدل». ويشبّه المسألة بأخوين «شقيقين قد ورثا من أبيهما داراً أو عقاراً يقتسمانه عدلاً،... ولا يستأثر فريق على آخر فيستبد عليه بحظه».

ويقول: «وليس معنى الوحدة في الأمة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر». وينبه إلى أن الأفاعي وحيتان الغرب التي تريد التهام كل أقطار المسلمين تكفي لأن تكون جامعاً للمسلمين... (عند الشدائد تذهب الأحقاد)... أفلا تسوقهم المحن والمصائب التي انصبت عليهم صب الصواعق من الأجانب إلى إقامة موازين العدل والتناصف في ما بينهم..»[٣].

التنوع في المجتمع الإسلامي ليس في أساس الدين:

يقول الإمام الخميني رحمه الله تعالى بعد حديثه عن وجوب مقاومة ظلم الحكام «فعندما نرى هارون الرشيد يحبس الإمام الكاظم (ع) عدة سنوات، أو نرى

---

(١) الإمام الخميني، نداء في موسم الحج، م. س. ص ١٥.

(٢) الكلمات القصار، مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني، م. س. ص ١٣٣.

(٣) آية الله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، كيف يتحد المسلمون، نقلاً عن: حول الوحدة الإسلامية ... م. س. ص ٤٧.

المأمون يأخذ الإمام الرضا (ع) إلى «مرو» ليكون تحت نظره، ومن ثم يقوم بسمه، فليس ذلك لأن الأئمة (ع) سادة وأولاد النبي (ص) بينما الرشيد والمأمون معادون للنبي، إذ هارون والمأمون كانا شيعيين كلاهما، وإنما كان ذلك بسبب أن (الملك عقيم)[1].

جاء في هامش الصفحة: «مراد هارون من أن (الملك عقيم) هو أنه عندما يقع الخصام على الحكم والسلطة تنسى الأقارب، ولا يسمح الأب لإبنه بذلك الأمر، ويتبرأ منه وكأنه عقيم من الأساس، ولم يكن له ولد، ومقصود الإمام من (الملك عقيم) الإشارة إلى هذا المعنى» ا. هـ.

إن هذا التوضيح كافٍ لأن يسلط الضوء على أسباب الجراحات والإقتتال الذي يحصل بين الحكام ومن يريد تخليص السلطة من أيديهم، فإذا كان هارون الرشيد قد حبس الإمام الكاظم (ع) عدة سنوات فإن عبد الله بن طاهر حليف المأمون قتل الخليفة الأمين وأرسل رأسه إلى المأمون (شقيقه)، ويعود الخلاف بين الأمين والمأمون إلى أن الأمين كان قد خلع المأمون من ولاية العهد وعين إبنه موسى مكانه، وهذا كان كافياً لقتله وإعلان البراءة منه، بينما المأمون قام بمبايعة الإمام علي الرضا (ع) ولياً للعهد فأغضب ذلك العباسيين، الذين هم وأولاد أمير المؤمنين علي (ع) أبناء عمومة، فالعباس هو شقيق أبي طالب والد أمير المؤمنين علي كرَّم الله تعالى وجهه، وقاموا بإعلان خلعه في بغداد وعقد الخلافة إلى إبراهيم بن المهدي، وفي طريق المأمون إلى بغداد وعقد الخلافة إلى إبراهيم بن المهدي، توفي ولي عهده علي الرضا (ع)وقد اتهم المأمون بقتله تقرباً إلى العباسيين[2].

---

(١) الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، مركز بقية الله الأعظم، بيروت، ط١،سنة ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ط٧، سنة ١٩٦٤، مصر، ص ١.

جاء في كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي، مصر، ط١، سنة ١٣٧١ خـ - ١٩٥٢م، ص ٣٠٧ ما يلي: «وفي سنة إحدى ومئتين خلع أخاه المؤتمن من ولاية العهد، وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، حمله على ذلك إفراطه في التشيع حتى قيل: إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه، وهو الذي لقبه الرضى، وضرب الدراهم باسمه وزوجه ابنته، وكتب الى الآفاق بذلك، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة فاشتد ذلك على بني العباس جداً، وخرجوا عليه وبايعوا إبراهيم بن المهدي، ولقب «المبارك» فجهز المأمون لقتاله، وجرت أمور وحروب، فكتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم ما نقموا عليه إلا بيعة لعلي وقد مات...».

أياً كان الأمر فكما قال الإمام الخميني (الملك عقيم)، فالمأمون ووالده كانا شيعيين، مع أنهما توليا خلافة المسلمين ولم يخدش ذلك في عقدها لهما، كما أن التشيع لم يمنع التهمة عن المأمون بدس السم لولي عهده علي الرضا (ع)، كما لم يمنع والده من سجن الإمام الكاظم، عدة سنوات، وكذلك، فإن الأخوّة لم تمنع المأمون من قتل أخيه الأمين وكان خليفة، وهذا كان شأن كل من تولى السلطة، بالقتل يصل وبالقتل يذهب إلا من رحم الله...

والجور المشكو منه كان عاماً على كل الناس سواء في العهد الأموي الذي لم يعمر إلا حوالى تسعين سنة تقريباً، بينما العصر العباسي عمر حوالى خمسمئة سنة، والعباسيون هم هاشميون وليسوا أمويين...

في النداء الأخير للشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله تعالى يؤكد إمكانية المشاركة في حكم واحد بقوله: «وأريد أن أقولها لكم، يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر، إن المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني. إن الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل عليٌّ (ع) السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول (أبي بكر)»[1].

ومما يدعم ما ذهب إليه كلٌّ من الشهيد الصدر والإمام الخميني رحمهما الله تعالى موقف علي بن أبي طالب من عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما عندما استشاره الخليفة عمر بالخروج إلى غزو الروم بنفسه، فقال له عليٌّ رضي الله عنه «إنك متى تسِرْ إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[2].

---

(١) النداء الأخير للشهيد محمد باقر الصدر، نقلاً عن: حول الوحدة الإسلامية، م. س. ص ٢٦.

(٢) نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ١٨.

لقد خاف عليٌّ كرَّم الله وجهه على الخليفة من أن يقتل فلا يبقى للمسلمين مرجع يرجعون إليه...

التنوع بين المسلمين وغير المسلمين:

يقول الإمام الأكبر محمود شلتوت: «والإسلام لا يرى أن مجرد المخالفة في الدين، تبيح العداوة والبغضاء، وتمنع المسالمة والتعاون على شؤون الحياة العامة فضلاً عن أن تبيح القتال لأجل تلك المخالفة، والقرآن يقول: ﴿**قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي ديني**﴾ (سورة الكافرون، كاملة)، ويقول: ﴿**فلذلك فادعُ، واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من الكتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير**﴾ (سورة الشورى، آية ١٥).

وقد وصى الله الإنسان بوالديه حسناً، وأن يعاشرهما بالمعروف، ولو كانا مشركين، وجاهداه على أن يشرك بالله مثلهما: ﴿**إن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾ (سورة لقمان، آية ١٤).

وكذلك يبيح أن يرتبط بأهل الكتاب (اليهود والنصارى) عن طريق المصاهرة، فيتزوج منهم ويكونون أخوالاً لأبنائه، ويكون لزوجته الكتابية من الحقوق والواجبات نفس الحقوق والواجبات المقررة للزوجة المسلمة، ويكون لها كذلك الحق الكامل... والقيام بفروض عبادتها، والذهاب إلى كنيستها لأداء طقوسها[1].

دستور الجمهورية الإسلامية في إيران:

الأصل الثالث عشر:

«الإيرانيون الزرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون. ولها أن

---

(١) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ص ٤٤ - ٤٦.

تعمل وفق قواعدها في الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية».

الأصل الرابع عشر:

بحكم الآية الكريمة: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم * إن الله يحب المقسطين**﴾ (سورة الممتحنة، آية ٨ ـ ٩).

«على حكومة جمهورية إيران الإسلامية وعلى المسلمين أن يعاملوا الأشخاص غير المسلمين بالأخلاق الحسنة والقسط والعدل الإسلامي، وأن يراعوا حقوقهم الإنسانية، يسري هذا الأصل على الذين لا يتآمرون ولا يقومون بأي عمل ضد الإسلام أو ضد جمهورية إيران الإسلامية» ا. هـ.

الإمام الخميني وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي:

إن نظرة الإمام الخميني لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي هي النظرة الموحدة المؤسسة على هدي القرآن الكريم، ويفرق بين الصهيوني الإسرائيلي وبين اليهودي لمجرد أنه صاحب دين، وكما هو معلوم، فإن الشريعة الإسلامية تعاقب كل باغٍ حتى ولو كان مسلماً، فالبغي هو جريمة بحد ذاته، أما كون الإنسان يهودياً أو نصرانياً، أو مستأمناً فلا يجوز الاعتداء على حرماته وحريته، له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، لا بل أكثر من ذلك، فإن الشريعة الإسلامية أعطت اليهود والنصارى ما يشبه الحكم الذاتي في المصطلح السياسي الحديث، وشرعة أهل الذمة هي قانون الجنسية أو الإقامة في بلد آخر في العصر الحديث.

وهذا ما ذهب إليه الإمام الخميني، والإقتباس التالي يحدد تلك العلاقة: «... فإن وفد شخص إسرائيلي إلى بلادنا ـ وأشير هنا إلى أن المقصود هو الإسرائيلي لا اليهودي ـ فلا يحق لأحد التعرض لليهود الموجودين في إيران، فهم تحت حماية الإسلام والمسلمين، لا يحق لأحد التعرض لليهود أو النصارى، فهؤلاء أتباع مذاهب

رسمية، وقد تعرض البعض للبهائيين، وقد واجهت الدولة ذلك...»[١].

«سوف تقطع كل العلاقات مع إسرائيل، غير أن اليهود مختارون في البقاء في إيران والعيش في أجواء أكثر حرية من العهد الملكي، ذلك لأن الإسلام يحترم جميع الأديان»[٢].

وقد فرق الإمام الخميني بين اليهود والصهيونية، ورداً على سؤال في هذا الشأن قال: «إن الموقف من اليهود يختلف عنه مع الصهاينة، فإذا ما انتصر المسلمون على الصهاينة، فإنهم سينزلون بهم نفس المصير الذي أنزلوه بالملك، ولا شأن لهم باليهود، فاليهود طائفة تمارس حياتها كبقية الطوائف ولا شأن لأحد بهم»[٣].

وعلة التفريق بين اليهود والصهيونية قال عنها الخميني: «إننا نعتقد بضرورة التمييز في معاملة اليهود من جهة والصهاينة والصهيونية من جهة أخرى، فالصهاينة ليسوا أهل الديانة اليهودية أصلاً، فتعاليم موسى (ع) إلهية سامية...» «... وهذا الأمر يختلف عما تخطط له هذه العصابة الصهيونية اختلافاً جذرياً، فالصهاينة مرتبطون بالمستكبرين يعملون جواسيس وخداماً لهم»[٤].

خلاصة الموقف أن غير المسلم في مجتمع المسلمين يحاسب إذا ارتكب جرماً يستوجب العقاب، شأنه شأن أي مسلم، ولهذا، فإن الأمة الإسلامية عاشت عبر التاريخ بكل تنوعاتها، وهي الأمة الوحيدة التي تترك شريعتها للآخر الفرصة للمحافظة على هويته وذاتيته بعيداً عن أي إرهاب أو مصادرة...

---

(١) خطاب الإمام بتاريخ ١٦/ ١٢/ ١٩٧٨ صحيفة النور، ج٤، ص ٧٩. نقلاً عن: القضية الفلسطينية، كلام الإمام الخميني، م. س. ص ٤٧.

(٢) لقاء الإمام مع المراسلين الأجانب ١٦/ ١/ ١٩٧٨ صحيفة النور، ج٤، ص ٢١٩، نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ٤٧.

(٣) لقاء الإمام مع إذاعة وتلفزيون ألمانيا بتاريخ ٩/ ١١/ ١٩٧٩ - صحيفة النور، ج ١٠، ص ١٧٠، نقلاً عن المرجع السابق، ص ٤٨.

(٤) خطاب الإمام الخميني في عدد من أعضاء المجمع اليهودي في ايران بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٧٩، صحيفة النور ج ٦، ص ١٦٤، نقلاً عن المصدر نفسه، ص ٥٠.

الخاتمة

إن وحدة الأمة بكل تنوعاتها أمر لا بد منه، وبغير ذلك ستتكالب الأكلة على قصعتها، وليس ذلك بسبب قلة المسلمين ولكن لأنهم غثاء كغثاء السيل... وعندما يقال العالم الإسلامي أو الحضارة الإسلامية، فإن هذا يعني كل المساهمين في بنائها من مسلمين وغير مسلمين لا فرق، وأن هذا العالم هو واحة حب وتسامح ومحافظة على كرامة الإنسان كإنسان لا أكثر ولا أقل...

ورحم الله تعالى الإمام الخميني وكل من ماثله في إعادة مشاعر اللحمة إلى الأمة، فقد أعاد شريحة كبيرة إلى موقعها الطبيعي كي تساهم في بناء صرح الوجود الحر الحضاري للمسلمين في العالم وذلك بعد غيبة طويلة، فمن وصيته «...أن لا يغفلوا عن صلاة الجمعة والجماعة التي هي مظهر البعد السياسي للصلاة، فصلاة الجمعة من أعظم عنايات الحق تعالى على الجمهورية الإسلامية في إيران»[1].

وحض رحمة الله تعالى عليه بوصيته على ولوج مكان الإنتاج والعمل على إشباع حاجات الناس، وإقفال باب الحديث عن موقف الإسلام من العلم والصناعة «إذ كان من الواجب في مستهل الحياة الدنيا أن تطبق العدالة الإجتماعية منعاً للظلم والنهب والقتل، فهل أصبح هذا النهج قديماً اليوم لأننا في قرن الذرة؟ والإدعاء أن الإسلام معارض للتجدد على طريقة محمد رضا بهلوي المخلوع الذي كان يقول: «هؤلاء يريدون أن يسافروا في هذا العصر بواسطة الحيوانات، هذا ليس إلا إتهاماً أبله لا غير، لأنه إذا كان المراد من مظاهر التمدن والتجدد الإختراعات والإبتكارات والصناعات المتطورة التي تؤثر في تقدم البشر وتمدنهم... فلا الإسلام ولا أي دين

(١) الإمام الخميني، الوصية الخالدة، ص ١٢.

توحيدي يعارض ذلك أبداً ولن يعارض، بل إن العلم والصناعة مورد تأكيد الإسلام والقرآن المجيد»[1].

ويبقى أمر لا بد من الإشارة إليه، فإن الأيام تعد العلماء لأن يفهموا من القرآن ما لم يفهمه من سبقهم، على حد قول السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى، وهذا ناموس غلاب.

واليوم بعد مرور عقد على وفاة الإمام الخميني استجدت أمور وباتت مقبولة، وانعقدت صداقات بعد عداوة تاريخية، والعالم في تغير.. وهذا أمر مشهود، مع أن ما أصبح مقبولاً اليوم كان من المحرمات في ما مضى...

إنها الخبرات والتجارب التي تثري فقه الفقهاء وتنضج عقل العقلاء... رحم الله تعالى الإمام الخميني، ورحم الأمة الإسلامية جمعاء، وكتب الهداية للبشرية المعذبة... إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

(١) الوصية الخالدة. ص ٢٠.